أدوات الوعي الفكري في المجال العقدي والفكري

إعداد

د.حسن بن محمد حسن الاسمري

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية الشريعة وأصول الدين -

جامعة الملك خالد

ملخص البحث

عنوان البحث: **"أدوات الوعي الفكري في المجال العقدي والفكري"**، وهو يتحدث عن حاجة المسلم المعاصر للوعي النافع بما يحيط به في فضاء العولمة؛ من أديان وفرق دينية ومذاهب فكرية، وعقائد وثقافات، وبدع وشبهات، ونشاطات متنوعة كثيرة ومثيرة، فما الأدوات التي تساعد الذات أن تعي ما حولها، فتستفيد من النافع، وتتجاوز الصعوبات، وتتوقى المخاطر؟

فسعى إلى بناء نموذج لأدوات الوعي، وهو مكون من ست خطوات، وهي: المفتاح الشرعي، الموسوعات، والأطالس، والمتخصص، والكتاب، الإعلام والاتصال، والممارسة؛ مبينا مفهوم كل خطوة، وسبل التعامل معها، لتتحقق في النهاية الملكة الفكرية المنشودة.



Abstract

A research paper titled "Intellectual Awareness Tools"

This research paper highlights the contemporary Muslim's need to useful awareness of all his global surroundings, including religions, religious groups, thought schools, doctrines, cultures, heresies, suspicions, and various yet exotic activities. So, what are the tools which help the person to understand his/her surroundings, so he/she can benefit from the good and avoid the dangers?

Accordingly, a six-step model of awareness tools was developed. The steps are: the legitimate key; encyclopedias and atlases; scientific and specialized writings; media and communication; and practice. Each step is clarified, with reasons behind it, with the aim of achieving intellectual faculty.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، **أما بعد**: فإنه لا أحد أيا كان انتماؤه الديني أو الفكري أو العقدي يمكنه أن ينكر أهمية الوعي وأثره في تقدم الأمم ورفعتها؛ انطلاقا من هذه المسلمة يمكننا التأكيد على أن أدوات الوعي هي الأخرى لا بد أن تكتسب نفس الأهمية؛ عملا بالقاعدة الأصولية: ما لا يتم الواجب إلا به فهو أيضا واجب، ولا شك أن تحصيل الوعي لا بد له من أدوات، وهذا البحث يتناول هذه الأدوات؛ إبانة وتمييزا، تحت مسمى **"أدوات الوعي الفكري في المجال العقدي والفكري"**، وهو يتناول موضوعا مهما لعصرنا، وبخاصة في هذا الزمن الصعب؛ زمن العولمة الشديدة، والتي تتميز بحضور مكثف لكل الأديان والفرق والمذاهب والعقائد والأيدلوجيات؛ عبر ضخ هائل، ومعها تقتحم الشبهات والعقائد الضالة والمذاهب الفاسدة كل باب على المسلم، ويأتي معها فرص كبيرة وعالم واسع من الإمكانات، وكل واحد يبحث عن طرق تساعده في تحقيق العيش الآمن؛ بحيث يستفيد من هذه الفرص والإمكانات ويتجاوز الصعوبات ويتوقى المخاطر، ولن يكون ذلك إلا بالوعي.

ولا أحد يجهل ضخامة الحدث، ولا أهمية الوعي، ولكنه بحاجة للأدوات العملية، التي يمكنه فهمها بيسر، والاستفادة منها بفعالية، وتساعده في الوعي الفكري.

مشكلة البحث:

تدور **مشكلة البحث** حول غياب الدراسات أو نقصها حول موضوع البحث -وهو أدوات الوعي- ثم البحث عن كيفية علاج ذلك، فثمة دراسات عن الوعي وأهميته، وما أن يقتنع الشخص بأهمية الوعي حتى يجد نفسه محاطا بمشكلة طريقة تحقيق هذا الوعي؛ مخاطبا نفسه بهذا السؤال: أما وقد أيقنا أهمية الوعي، **فما الأدوات** التي تسهم في إنجاز هذا الوعي؟ مع التركيز على ما يتصل بالجانب العقدي والفكري.

وأغلب الإجابات المتاحة تتسم بالتعميم غير المثمر في الموضوعات الخاصة، أو تتسم بالاختصار المخل بغرض التعريف؛ فمن التعميمات أن يقال: إن أداة الوعي هي اعتماد

العقلانية والتعليم والتفكير. ومن الاختزال أن يقال: إن أداة الوعي هي القراءة، ثم توضع قائمة بالكتب. ومع أن فيهما جزءا من الصواب، ولكنه لا يقدم الصياغة النموذجية لهذا الباب؛ وهذه الدراسة تحاول تحقيق ذلك؛ وليس شرطا أن تكون تلك المحاولة هي الوحيدة لهذا الموضوع؛ فتعدد المحاولات يأتي بثمار مرضية في النهاية، وكذلك يعطي خيارات متعددة.

أما منهج الدراسة:

فهو منهج مركب من أداتي التحليل والتركيب، ينطلق من تحليل مكونات الوعي وأدواته، ثم يركب منها النموذج المقترح في أدوات الوعي الفكري؛ ومن جهة تخريج الأحاديث: فأكتفي بذكر الكتاب ورقم الحديث، وإذا كان في غير الصحيحين ذكرت حكمه عند أهل التحقيق؛ وأما الأعلام والفرق والمذاهب والمصطلحات؛ فأعرف بغير المشهور منها.

ولا شك أن ثمة دراسات سابقة في موضوع الوعي الفكري، ولكنها لم تعالج الأدوات، ولم يتيسر لي الوصول إلى بحث يتعلق بدراسة أدوات الوعي، وغالب الظن أن الاهتمام بالوعي بدأ متأخرا في نشاطنا الثقافي، ومن ثم فهناك جوانب مهمة لم يتطرق إليها البحث في مجال الوعي الفكري.

مكونات الدراسة:

رتبت موضوعات هذه الدراسة على النحو الآتي:

- **المقدمة.**
- ينقسم البحث لقسمين؛ قسم نظري، وآخر تطبيقي، يعرض في المبحث الأول الجانب النظري من الموضوع؛ على أن يكون موضوع المبحث الثاني الجانب التطبيقي الخاص بالأدوات المقترحة.

المبحث الأول: مفهوم أدوات الوعي الفكري وأهميته وكيفية تكوين أدواته؟ وفيه المطالب الآتية:

- المطلب الأول: مفاهيم أدوات الوعي الفكري.
- المطلب الثاني: أهمية الوعي وأدواته.

- المطلب الثالث: كيف نكون أدوات الوعي الفكري؟

المبحث الثاني: أدوات الوعي الفكري، وفيه المطالب الآتية:

- المطلب الأول: المفتاح الشرعي.
- المطلب الثاني: الموسوعات والأطالس الثقافية.
- المطلب الثالث: المتخصص.
- المطلب الرابع: الكتاب.
- المطلب الخامس: الإعلام والاتصال.
- المطلب السادس: الممارسة.

الخاتمة.

المصادر والمراجع والفهارس.

وأخيرا وليس آخرا أسأل الله أن يكون هذا البحث موفيا بأهدافه، ومحققا فوائده، ومع ما بذلت من الجهد فلا أدعي الكمال فيه؛ فالنقص من طبيعة البشر، فما كان فيه من نقص أو خطأ فمن نفسي، وما كان فيه من صواب فمن توفيق الله.



المبحث الأول

مفهوم أدوات الوعي الفكري وأهميته وكيفية تكوين أدواته

المطلب الأول

مصطلحات الدراسة

تشتمل الدراسة على عدة مفاهيم، وهي: الأداة، الوعي، الفكري؛ ولعله من الأولى الوقوف على المراد من هذه المفاهيم؛ ليسهل توضيح المراد منها في أثناء الدراسة.

أولاً: مفهوم "الأداة":

نجد في اللغة معنيين للأداة: **أحدهما**: ما يوصل للمراد؛ ذكره ابن فارس، فقال: هي ما "يوصل بها إلى ما يراد"(1)، **والآخر**: آلة الحرفة، ففي "لسان العرب": "ولكل ذي حرفة أداة؛ وهي آلته التي تقيم حرفته"(2)، وهذان المعنيان هما ما سيركز عليه في أدوات الوعي الفكري، فالوعي من جهة يعد أداة المشتغل في عالم الأفكار؛ لأنه بحاجة لأدوات تقيم حرفته؛ وهو من جهة أخرى يوصله لهدفه وغايته؛ وهذا عين ما يريده صاحب الحرفة من أداته.

والأداة في صورتها الحسية الملموسة تكون أكثر وضوحا؛ فمثلا: أدوات البناء، وأدوات الرسم، وأدوات طبيب الأسنان، وأدوات المصور، وهكذا، فكل عمل بحاجة لأدوات، وعند استخدام أداة غير مناسبة يكون تبعة ذلك منتجا فاسدا.

أما الأداة في صورتها المعنوية فمن ذلك ما يكون في مجال الأفكار والمعاني؛ ذلك أنه هناك أدوات للفهم والنقد والإنتاج والبناء والإبداع وغيرها، ومن يعمل في هذا المجال بدون أدواته فهو كالخباز الذي يريد إنتاج خبز دون أداة طحن أو أداة عجن أو فرن أو ما شابه ذلك من أدوات كثيرة بين يدي الخباز، بعضها أساسي لا بد منه، وإلا فلن يكون هناك خبز، وبعضها

(1) ينظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ١/ ٧٣، تحقيق: عبد السلام هارون، الفكر، دمشق، طبعة ١٣٩٩هـ.

(2) لسان العرب لابن منظور، ١٤/ ٢٥، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

مفيد في عمله وتحسين جودته؛ وإن أمكن إنتاج الخبز بدونها[1]. ومع كثرة من يدرك تمام الإدراك تعذر إنتاج الخبز بغير أدوات؛ لكنهم في الوقت نفسه لا يرون للإبداع والوعي والعلم أدواته الخاصة به؛ رغم أن من هذه الأدوات ما لا يمكن وجود الإنتاج المعرفي والفكري بغيره.

لقد تعود كثير منا استهلاك كل شيء؛ استهلاك الماديات واستهلاك الأفكار، والاستهلاك هنا له أدواته اليسيرة؛ بخلاف الوعي والإبداع والإنتاج، فهو بحاجة لأدوات صلبة وصعبة، وبحاجة للتدرب الكافي، وهذه الأدوات لم تأخذ حظها بما يكفي من الاعتناء.

وكما قيل في المثل الصيني: علمني الصيد ولا تعطني السمكة، ولعل أبرز ما يمكن إفادته من هذا المثل ضرورة التمسك بأدوات الإنتاج؛ لا الإنتاج نفسه؛ فالمقصود التمكن من الأدوات المناسبة للإنتاج، وعندها يتم التحرر من الحاجة لأحد، ومن العبودية للاستهلاك الحسي والمعنوي، استهلاك الأشياء والأفكار، وما لم نهتم بالأدوات والملكة فيها، فسنبقى عالة على غيرنا، في عالم مليء بالأفكار والإبداعات.

وقد بدأ الإنسان من تاريخه القديم يطور أدواته، وكان من أول الأدوات وأشهرها: الفأس والقلم، فالأول يستخدم في جانب حسي، والآخر: في جانب معنوي، والأول هو الركن المادي للحضارة، والآخر: هو الركن العلمي لها.

وفي عصرنا الحديث أصبحت **أدوات** الوعي والعلم والفكر والإبداع والابتكار أكثر أهمية، بل هي الطريق لابتكار الاختراعات، وأصبح ميزان الأمم بما يملك أفرادها من أدوات يستخدمونها بمهارة، فالبحث العلمي ينجح في بيئات وينتج عنه منتجات مذهلة؛ لتمكن الطلاب من أدوات البحث العلمي، كما نشاهد ذلك التطور في جوانب كثيرة من جوانب

---

(١) قال أبو حامد الغزالي في كتابه الإحياء: "لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صانعا"، وبعيدا عن تحديد العدد، فإنه يمكننا تخيل الكثير في عصرنا اليوم؛ بداية بمن يزرع ويحصد وينقل ويشحن ويشتري ويبيع ويصدر؛ وصولا للمخبز الذي يخزن ويطحن ويخبز، بل كل ما يحسن أو يكون الخباز والخبز بحاجة له، فيدخل تبعا، مثل الملح والماء. ينظر إحياء علوم الدين، ٣/ ٩٤، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٤٠٢هـ.

الحياة، لوجود فئة في كل جانب، تمتلك أدواته، فإذا ما نظرنا للبلاد المتقدمة في الصناعة والهندسة والعمران، نجد أن أحد أهم الأسباب هو امتلاكهم الأدوات المهمة في مجال عملهم.

وتتميز كتب التنظير للبحث العلمي بالحديث عن **الأدوات**، فهناك من جعلها "الوسيلة التي يجمع بها الباحث بياناته"، ويذكرون منها: الملاحظة، والمقابلات، والاستبانات، وتحليل المحتوى، والخرائط والرسوم، والوسائل الإحصائية، وغيرها(1)، وعرفها آخر بأنها: "الوسيلة أو الطريقة التي يستطيع بها الباحث حل مشكلته.... ولهذا وجب على الباحث أن يستخدم عدة أدوات من أجل القيام بالبحث الذي يضمن له بالنهاية الوصول إلى الهدف.." إلى أن قال: "إن طبيعة الفروض هي التي تحدد الأدوات المستعملة، والباحث: الذي يختار الأدوات الملائمة.... أو يصنعها لتحقيق الفرض"(2).

ثانياً: مفهوم "الوعي" وأنواعه: مفهوم الوعي:

ورد في "المعجم الوسيط"(3): "وعى الشيء: جمعه في وعاء. وعى الحديث: حفظه وفهمه وقبله. وعى الأمر: أدركه على حقيقته.... "**الواعية**": وصف للمؤنث. ويقال: أذن واعية: حافظة. "**الوعاء**": الظرف يوعى فيه الشيء، جمع أوعية. **الوعي**: الحفظ والتقدير، والفهم وسلامة الإدراك. **والوعي** في علم النفس: شعور الكائن الحي بما في نفسه وما يحيط به"(4).

ويمكننا أن نستخلص من هذا أن لفظة "الوعي" مفهوم يدل على ذات تمتلك إمكانات عالية: جمع، وفهم، وحفظ، وإدراك عميق وقبول.

ومن الجدير بالذكر أن لفظ "الأمر" في قوله: "وعى الأمر" يتعلق بالأمر المهم؛ فقد جاء إطلاق **الأمر** في القرآن على الشيء المهم؛ حيث قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[الشورى: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ

(١) ينظر: أصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدير، ص٣٥، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٦، ١٩٨٢م.

(٢) أصول البحث العلمي ومناهجه، وجيه محجوب، ص١٤٧، دار المنهاج، عمان، الأردن، ط٢، ١٤٢٥هـ.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص١٠٤٤-١٠٤٥ (و ع ي)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هـ.

(٤) المعجم الوسيط، ص١٠٤٤- ١٠٤٥ (و ع ي).

ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾[النساء: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾[الأنفال: ٤٣]، ومن ثم يمكننا أخذ المعنى اللغوي: "وعى الأمر: أدركه على حقيقته...." ليكون هو المعين في تحديد أداة الوعي، وهذا الإدراك بحاجة لجمع وحفظ وفهم.

أنواع الوعي:

يمكننا تقسيم الوعي من حيث الفائدة إلى ثلاثة أنواع، وهي: الوعي الزائف؛ الوعي الناقص؛ الوعي النافع.

والأكثر خطورة من بينهم هو **الوعي الزائف**؛ رغم أنه يلقى نجاحا؛ وذلك بسبب العولمة الإعلامية المدارة من هيئات ذات مصالح معينة على حساب المبادئ؛ إذ أقنعت العالم المتأثر بها بخط واحد للوعي، هذا الخط هي وحدها التي ترسم حدوده الإعلامية والثقافية، ويشعر الإنسان بغرقه فيها، ثم هو في النهاية وعي زائف لا يحقق غاية حسنة لصاحبه، بل يتيه معها.

أما **الوعي الناقص**: فلعله ما يكون في بداية الطريق؛ فهو يمتلك جزءا من الوعي، ولكنه لا يجني ثمار هذا الوعي، وأهم معالم هذا النوع: الفصل بين العلم والعمل؛ بحيث يكون الذهن على قدر عال من الإلمام بالمشكلة، لكنه لم يترجم هذه المعرفة بصورة عملية، ومن أمثلة ذلك: الوعي البيئي، فإننا عندما ندخل متنزها مكتظا بالمتنزهين، وإذا ما سألت أحدهم عن أهمية المحافظة على نظافة المكان، لوجدت الإجابة تكاد تكون واحدة، وملخصها التأكيد على ضرورة نظافة المنتزه، فتظنهم على قدر عال من الوعي، ولكن ما إن تغرب شمس ذاك اليوم، وتنظر خلفهم، حتى تجد أكداسا من النفايات، عندها تكتشف أن هذا الوعي الموجود في الأذهان لا ثمار له في الواقع؛ فهو واعي ناقص.

أما **الوعي النافع**، فهو الذي يجمع بين العلم والعمل، والأدوات فيه تحقق ثمارها، فتجد صاحبه ذا معرفة كافية بالمشكلة وأدوات حلها، ثم هو لا يألو جهدا في السعي نحو حل هذه المشكلة.

ولكل نوع منها مفهومه، وخصائصه، وأدواته، ونتائجه؛ وذكرها هنا ما هو إلا محاولة للإفادة من الأدوات النافعة ذات الجدوى، لا للانهماك في أدوات لا طائل تحتها، وثمارها إما زائفة أو ناقصة؛ بينما نحن نبحث عما كانت ثماره نافعة؛ والنفع هنا يكون بمقاييسنا الإسلامية.

ثالثاً: مفهوم "الفكر":

ورد في "المعجم الوسيط": "**فكر**" في الأمر فكرا: أعمل العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول.... وفكر في المشكلة: أعمل عقله فيها ليتوصل إلى حلها. فهو مفكر..."التفكير": إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها. "الفكر": إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول. ويقال: لي في الأمر فكر؛ نظر وروية"[(١)].

ووفقا لهذه المعطيات لمعنى الفكر، يمكننا أن نقول: إن مفهومه يدل على إعمال العقل وفق قواعد ترتب عمله للخروج بأمور مفيدة، وهذه المخرجات تسمى فكرا.

رابعاً: مفهوم الوعي الفكري:

من هذا التقريب المعجمي نستطيع أن نخرج بمعنى تقريبي لمركب "الوعي الفكري"، بأنه: إدراك الأفكار وفهمها على حقيقتها، وهذا الفهم له ثمرته العلمية والعملية على الفرد والمجتمع.

و"الوعي الفكري" -المراد هنا- له معنيان: **الأول**: بمعنى الوعي بالأفكار الحية، الجيدة والرديئة؛ **والآخر**: يأتي بمعنى قدرة الإنسان على استخدام عقله بشكل جيد، فيقال: وعيه عال، وهذا قريب من معنى العاقل أو الحكيم.

وينصرف **المعنى الأول** إلى: منظومات الأفكار القائمة حولنا؛ فيكون صاحب الوعي على معرفة بالأديان والفرق والتيارات والفلسفات والمذاهب والأفكار التي تحيط به، والتي تكون فاعلة ومؤثرة، وقد تكون في حدود محيطه القريب، وقد تكون عالمية.

---

(١) المعجم الوسيط، ص٦٩٨.

أما **المعنى الثاني** فينصرف إلى: القواعد العقلية للفرد، والمنهجية الخاصة بكل واحد؛ وقدرة هذه المنهجية على إنارة الطريق لصاحبها، فيفهم ما حوله ويتخذ المواقف المناسبة حياله. ومن هذين المعنيين يتكون "الوعي الفكري" الذي تتبناه هذه الدراسة.

ومما يتمم هذا المطلب الحديث عن العلاقة الوثيقة بين الوعي والعولمة، وأهميتها للمسلم المعاصر، وينظر للعولمة كقوة فاعلة في مرحلتنا الراهنة، تتضمن تحديات وفرصا، فهي بقدر ما تبعث على التوجس بقدر ما تغري بفرصها، ويمكن أن نعرفها بأنها توحد العالم بسبب توحد المؤثرات الثقافية أو الحضارية(1)، والقوى التي تدير العولمة ترغب تشكيل الناس بما يتفق مع غاياتها، وتدير ذلك بأساليب ذكية، فهو مفهوم يشير بمعناه العام إلى عملية تحول شامل تطال العالم كله، وتختزله في نظام اقتصادي واجتماعي وفكري ومعرفي واحد. وهذا يحيل إلى إشكالات تحديث المجتمعات العربية والإسلامية التي واجهها ويواجهها المصلحون الإسلاميون بدءا من مشكلة التوفيق بين العقل والنقل، وجدلية التقدم والتأخر، وانتهاء بـ(وليس إغلاقا لحقيقة كون الفضاء العولمي ما زال بدلالته المادية والمعنوية محكوما بهيمنة المركز الغربي في مواجهة الهامش العربي الإسلامي، والمسلم المعاصر مطالب أن يكون في مستوى التحدي، ومما يعينه في هذه المعركة تمكنه من الوعي بطبيعة عصره.

وبعد أن عرض معنى "الأداة"، و"الوعي"، و"الفكر"، و"الوعي الفكري"، يمكننا صوغ المراد من عنوان الدراسة؛ فنقول: "أدوات الوعي الفكري": هي ما يعين المشتغل بعالم الأفكار أو المختلط بها.



(1) ينظر الموسوعة العربية العالمية، ١٦/ ٧٢١.

المطلب الثاني

أهمية الوعي وأدواته

جاء في الذكر الحكيم قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[الحاقة: ١٢]، وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]؛ وذلك أن الوعي يطلق على الأذن والقلب؛ لارتباط الأمر بينهما، فالأذن الواعية والقلب الواعي توصلنا للذات الواعية؛ التي تعي ما تستقبله.

وإذا ما نظرنا إلى تفسير العلماء لهذه الآية وجدنا هذا المعنى؛ ففي "تفسير القرطبي" رحمه الله: "أي: تحفظها وتسمعها أذن حافظة لما جاء من عند الله.... قال الزجاج: ويقال: وعيت كذا؛ أي: حفظته في نفسي، أعيه وعيا. ووعيت العلم، ووعيت ما قلت؛ كله بمعنى..."، "ونظير قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾. وقال قتادة: الأذن الواعية: أذن عقلت عن الله تعالى، وانتفعت بما سمعت من كتاب الله-عز وجل-"[(١)]. ونقل لنا الطبري رحمه الله عن قتادة: "﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ قال: أذن سمعت وعقلت ما سمعت"، وعن الضحاك: ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾: سمعتها أذن ووعت"[(٢)]، وعلق ابن كثير -رحمه الله- على كلام الضحاك فقال: "أي: من له سمع صحيح وعقل رجيح. وهذا عام فيمن فهم ووعى"[(٣)].

ولابن القيم -رحمه الله- كلام جميل حول وعي القلب والأذن، ذكره في معرض شرحه حديث: **"القلوب أوعية"**، فقال: "يشبه القلب بالوعاء والإناء والوادي؛ لأنه وعاء للخير والشر...."وفي مثل هذا قيل في المثل: وكل إناء بالذي فيه ينضح.

---

(١) تفسير القرطبي، ١٨/ ٢٦٣-٢٦٤، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

(٢) تفسير الطبري، ٢٣/ ٥٧٩-٥٨٠، تحقيق: عبد الله التركي، هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٣) تفسير ابن كثير، ٨/ ٢١٠، تحقيق: مصطفى السيد محمد وعلي عبد الباقي وآخرين، مؤسسة قرطبة، مصر، ط١، ١٤٢١هـ؛ ومما يأتي في هذا السياق ما جاء عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه كان يقول: "اقرؤوا القرآن ولا يغرنكم هذه المصاحف المعلقة، فإن الله لن يعذب قلبا وعى القرآن"، رواه الدارمي في "سننه"، ٤/ ٢٠٩٢، رقمه (٣٣٦٢)، وقال محققه: إسناده صحيح. قال ابن الأثير في "النهاية في غريب الحديث": "أي عقله إيمانا به وعملا. فأما من حفظ ألفاظه وضيع حدوده؛ فإنه غير واع له"، ٥/ ٢٠٨.

وقوله: "فخيرها أوعاها": يراد به أسرعها وعيا، وأكثرها وأثبتها وعيا، ويراد به أيضا أحسنها وعيا، فيكون حسن الوعي الذي هو إيعاء لما يقال له في قلبه، هو سرعته وكثرته وثباته..."(١).

والحديث عن أهمية الوعي الفكري يطول، ومن ثم فليس أمامنا سوى الاكتفاء بأهم ما يبين صورته التي يتناولها هذا البحث.

الوعي: "نظارة ونور":

إن كل أداة لا بد أن تتسم بسمات معينة وخصائص فريدة حتى تكتسب أهميتها لدى مستخدمها، وهذه الخصائص تمنح الأداة فاعليتها، وأكتفي هنا بالحديث عن مدخلين مهمين للأداة في وجهيها: الحسي والمعنوي، ومتخذا من التمثيل ما يبين الأهمية، وذلك بضرب مثل النظارة والنور المحقق للرؤية، تحت مفردتي: البصر والبصيرة.

فأما النظارة فهي أداة مساعدة للبصر، ولنقل العدسات، التي تستخدم في الحسيات، وتظهر ثمارها؛ مقربة لنا البعيد كالمقربات "التلسكوب"، أو مكبرة لنا الصغير كالمجاهر، أو موضحة لنا الطريق لمن كان يعاني خللا في عينيه، بل أصبحت بعض العدسات مكتشفة لنا البواطن والخوافي، كالتي تستخدم الأشعة في اكتشاف ما في باطن الإنسان أو الأرض أو ما خلف الحواجز.

فهناك النفس التي تعتمد على البصر، والروح التي تعتمد على البصيرة؛ وعندما يضعف البصر أو يصعب عليه رؤية شيء؛ لأنه ليس في حدود إمكاناته الطبيعية، فإنه يلجأ للعدسات السابقة، ففي الضعف الطبيعي تقف تحديات أمام ضعيف البصر، ويعالج هذا الضعف بلبس النظارة، فهي أداة مناسبة لرفع ضعف عمل العين، فيرى الأمور بوضوح. ولكن لو كان يسير في طريق خطر بسيارته، وهو ضعيف البصر، فهو أكثر عرضة للمخاطر؛ بسبب ضعف بصره، فإذا استعمل نظارته خفت تلك المخاطر؛ لأنه يرى الطريق بوضوح، فيستطيع السير دون

---

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ١/ ١٢٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ، والحديث في مسند الإمام أحمد، رقم (٦٦٥٥)، وقال محققه الشيخ أحمد شاكر: إسناده حسن، ٦/ ٢١٣.

قلق. وهذه الرؤية بحاجة لضوء حتى يمكنه الإبصار، فاجتمع عمل الأداة- وهي النظارة- مع النور.

وأعظم من ذلك حاجة القلب للنور حتى تتحقق بصيرته، وكثيرا ما نغفل عن أهمية صقل القلب وإصلاح عدساته ليرى الحق حقا فيستمسك به، ويرى الباطل باطلا فيجتنبه؛ ذلك أن المسلم يعيش عالم الابتلاء، ويتعرض للفتن، وقلبه بحاجة للنور، حتى يخرج منها سالما؛ فعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء؛ حتى تصير على قلبين: أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر: أسود مربادا، كالكوز مجخيا، لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، إلا ما أشرب من هواه"(1). ومن ثم، فأدوات الوعي هنا ينبغي أن تحافظ على هذا التوازن بين البصر والبصيرة(2)؛ بين العين والقلب، فإذا كان العالم اليوم يهتم كل الاهتمام بالوعي، فهو في الوقت نفسه يكتفي بالوعي المفصول عن الإيمان والقلب؛ وذلك من آثار النزعة العلمانية العالمية التي أهملت الدين والآخرة، واعتنت عناية فائقة بالدنيا، وهذا الموقف سيعود على الوعي بالبطلان، فوجب إصلاح هذا الفصل، وأن تجمع أدواتنا بين المكونات الحسية والمعاني الروحية.



المطلب الثالث

كيف نكون أدوات الوعي الفكري؟

تختلف الأدوات حسب الموضوع الذي تعالجه؛ فالموضوع هو الذي يشكل الأدوات، ومن ثم فنحن هنا نضع أدوات تتناسب مع الموضوع، ويقصد منها تحقيق الوعي الفكري، لذا

---

(1) صحيح مسلم، رقم (٢٣١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(2) وفي المقابل إن جمع المرء بين عمى البصر والبصيرة تعذر عليه إدراك الأمور لما وضعت له، جاء في تفسير الشوكاني (٥٠٩/٢) ما نصه: "من جمع له بين عمى البصر والبصيرة؛ فقد تعذر عليه الإدراك. وكذا من جمع له بين الصمم وذهاب العقل؛ فقد انسد عليه باب الهدى".

فنحن بحاجة لتحديد الموضوع وسماته وخصائصه؛ لنضع ما يناسبه من الأدوات التي تحقق التمكن من هذا الموضوع.

فتكون البداية ببيان المقصود من "الوعي الفكري"؛ مع بيان أهمية هذا الموضوع، وسماته وخصائصه، ومن خلالها توضع الأدوات التي تحقق هذا المقصد بما يجمع بين أمرين: **اليسر** قدر الإمكان، **والنجاعة** وتحقيق أفضل النتائج.

إن مجال الوعي الفكري يمكن تحديده بما له صلة بالفكر، والأهم هنا هو الفكر المتصل بالعقائد والمذاهب والأيدلوجيات، وبخاصة في فضاء العولمة الواسع، وهي تعود إلى ثلاث دوائر مهمة: الأديان، والفرق، والمذاهب الفكرية، فهذه الدوائر الثلاث قد عاد نشاطها الواسع مع ما أتاحته العولمة من فرص للجميع، فأصبح المسلم اليوم في بحر متلاطم من الأديان والفرق والمذاهب والعقائد، والشبهات والشهوات تأتي من هذه الأديان ومن الفرق ومن المذاهب، وكلها متاحة على أي شاشة هاتف ذكي أو حاسب متصل بالشبكة .

وترتبط الأدوات -إذا- بهذا المجال المعقد، العولمة بما يتحرك داخلها من أديان وفرق ومذاهب وثقافات، ومن ثم فلا بد من مراعاة هذا المتغير المهم؛ متغير العولمة المتصلة بتطورات كبيرة في مجال الإعلام والاتصال.

إن المواصفات المهمة للأداة في مثل هذا المتغير الكبير: أن تكون محققة لاكتشاف **الفرص** المتاحة لنا مع هذا الفضاء الواسع؛ ومساعدة في معرفة **التحديات** وسبل تجاوزها؛ ومنبهة **للمخاطر** وسبل توقيها؛ وهذه الثلاث- الفرص والتحديات والمخاطر- هي في صلب الوعي الفكري بأدوات مناسبة تحققه، ولكن الذات الواعية لن تستطيع الوقوف بأدواتها إن لم تكن مزودة بما يؤهلها للعصر؛ من الإيمان العميق والمنهج الإسلامي المتين.

فبناء الأدوات في هذا المجال ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار الذات الواعية وموضوعات الوعي في ضوء واقعها المعاصر المعولم؛ بحيث تكون الأداة قادرة على الموازنة بين حفظ هوية الذات الواعية مع إكسابها الأدوات لتعي موضوعات العصر المحيط بها.



المبحث الثاني

أدوات الوعي الفكري

وفيه خمسة مطالب:

بعد أن عرض الجانب النظري في المبحث الأول، يأتي المبحث الثاني ليعرض الجانب التطبيقي لهذا الموضوع؛ حيث تم بناء نموذج لهذه الأدوات، وهذا النموذج كالآتي:

الأداة	فائدتها
المفتاح الشرعي	تكوين التصور الصحيح والموقف الكلي المناسب
الموسوعات والأطالس الثقافية	تكوين صورة عامة عن الموضوع وخريطة الحركة
المتخصص	يضع الخطوات المناسبة للحركة
الكتب والمكتوبات	بناء العلم
الإعلام والاتصال	الوعي بالمستجدات
الممارسة	تمكين الخبرة؛ البناء من خلال العطاء



المطلب الأول

المفتاح الشرعي

ينطلق المسلم في كل أموره بكل ثقة واطمئنان من التوجيه الرباني؛ فهو يملك وحيا ربانيا محفوظا بحفظ الله له، كما أن معانيه وتفسيراته منقولة لنا بكل ذخائرها وكنوزها، ومعها نقلت إلينا مناهج الفهم والاستنباط، ونقلت لنا المسائل والدلائل؛ ولهذا فلا بد من تحديد الرؤية الشرعية من موضوعات الوعي.

والمقصد -هنا- ما يكفي للرؤية العامة والمواقف الكلية، فهو أشبه بالفتوى، والفتوى هي "تبيين الحكم الشرعي عن دليل لمن سأل عنه، وهذا يشمل السؤال في الوقائع وغيرها"(١)، ومن يطلب الوعي بموضوع ما هو بحاجة لفتوى أو ما يشبهها فيه.

وقد ساد في المناهج العلمية قولهم بأهمية انطلاقة الباحث خاليا من الحكم المسبق، ولكن مطلب الوعي يختلف عن غايات البحث العلمي، هذا على فرض صحة هذه الدعوى، وإلا فالباحث المسلم مؤطر بقيم لا ينفك عنها.

فكما يتحدث أهل المناهج عن نور العقل الذي يتزود به الباحث عن الحقيقة(٢)، فهناك ما هو أحق منه: وهو نور الوحي؛ ونور العقل هو نور عظيم دون شك، ولكن له حدوده، بينما هناك مجالات عظمى لا يستطيع العقل وحده أن ينيرها، فيكون مثل العين التي هي بحاجة لضوء، فالعقل بحاجة لنور حتى يبصر، وهذا النور هو الوحي؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾[النساء: ١٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[الشورى: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا﴾[الأنعام: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾[الحديد: ٢٨].

فمن مجموع هذه الآيات النيرات يظهر لنا حاجتنا الملحة لهذا النور، فالوحي هو النور، وهو الذي يخرج صاحبه من الظلمات إلى النور، وينشأ من هذا النور نورا يبصر به الطريق. قال ابن تيمية رحمه الله: "بل العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل؛ لكنه ليس مستقلا بذلك؛ بل هو غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢٣/ ٢٠، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٢) وهي عمدة في المنهج الديكارتي، ينظر: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، د. راجح الكردي، ص٦٧١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن-فيرجينيا- أمريكا، المؤيد- الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

التي في العين؛ فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار"(1).

وعلى هذا فالخلو من الحكم السابق لا يعني الخلو من الرؤية الشرعية، فهي تمثل المفتاح للموضوع؛ فيستصحب هذا النور المضيء له في اغتنام الفرص وتجاوز التحديات وتوقي المخاطر.

أما الوعي الذي ينطلق بدون نور، فمساره محفوف بالمخاطر، وسينشأ عنه وعي مزيف أو وعي ناقص، ولن يخرج من هذا المأزق إلا بنور الوحي.

فالمجال العقدي أو الموضوع الفكري الذي هو بحاجة للوعي قبل الدخول فيه لمعرفة الرؤية الشرعية حوله، وذلك بحدود الفتوى، أو الجواب المختصر؛ لأن الفتوى ليس هدفها البناء العلمي للمستفتي، وإنما هي جواب لحالة محددة، أما البناء العلمي فله مساراته وطرقه. والفرق بين الوعي بالشيء والعلم به كالفرق بين الوعي بالطريقة المناسبة لإنقاذ طفل ابتلع شيئا ساما أو سادا أو جارحا، فالمنقذ هنا يريد ما ينبغي فعله في هذه الحالة بعينها، ولا يريد تكوين معرفة علمية بالإسعافات الأولية لمثل هذه الحالات.

صحيح أن مطلب العلم مطلب عظيم، ولكنه فوق إمكانات كل الناس مع كثرة المتغيرات، وهذه المتغيرات بحاجة لمجتهدين؛ بخلاف من دونهم، فهم يرغبون على الأقل بموقف ناتج عن وعي؛ لأن الناظر في علوم الوحي، إما طالب علم متمكن من هذه العلوم الشريفة، أو آخر غير متمكن منها؛ فأما الأول فهو يعرف طريقه في معرفة ما يجب وما ينبغي؛ بخلاف الثاني، فهو بحاجة لوسيلة تساعده في امتلاك المفتاح الشرعي؛ بحيث تكون ذات متانة علمية موثوقة مع اختصار يفي بالمطلوب، ومعزز بأدوات العرض والبحث التقني.

ويفضل في هذه الأداة أن تتصف باليسر وسهولة الوصول، ولا أسهل اليوم من تلك التطبيقات التي تحمل على أجهزة الهواتف الذكية، أو مواقع احترافية على الشبكة العنكبوتية متكيفة مع مختلف الشاشات الصغيرة والمتوسطة والكبيرة.

---

(1) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٣/ ٣٣٨-٣٣٩، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط١، ١٤٢٥هـ.

ويجدر التنبيه هنا: أن إنجاز مثل هذه المشاريع لهو من أعظم ما يخدم به الإسلام في زمننا، فلا شك أن وجود أهل الذكر الذين يعاد إليهم في السؤال وطلب العلم؛ كما قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل: ٤٣]، لهو الطريق الأهم، ولكن مع وجود أكثر من مليار ونصف مسلم في العالم، وكثير منهم يعتريه كل لحظة مسألة يريد حكم الإسلام فيها، ولا يتيسر له أن يجد العالم أو المفتي، فيجد عوضا عن ذلك تطبيقا سهلا مرتبا موثوقا يحقق له مراده؛ بل الأمل أن يتوسع الجهد في هذه التطبيقات، بأن تتضمن ملحقا باتصال مباشر بمن هو من أهل العلم ومن المتخصصين في علوم الوحي، ممن يمكن الاتصال به عند عدم اكتفاء القارئ بما قرأ، ووجد أنه بحاجة لمزيد فهم وفقه في موضوعه، فيسهل على الخلق وصولهم لنور الإسلام؛ وذلك أن المسلم الحق يريد امتثال قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢]، فيجد توجيه الإسلام لكل مسألة يحتاجها بلمسة إصبع.

وقد يكتشف الشخص أن الموضوع الذي يطلب نور الشرع فيه بحاجة لما هو أعمق مما جاء في هذه الوسيلة، فمن شعر بهذه الحاجة، وبخاصة مع الموضوعات الدقيقة، أو التي فيها اختلاف شديد، أو التي تكون ذات تفريعات أو تطبيقات مختلفة، فلا بد له من طلب المزيد من الوضوح، حتى لا تكون انطلاقته ناقصة.

وهدف الوعي الفكري للمسلم المعاصر هو تحقيق البصيرة، وأعظم ما يحققها هو الوحي؛ فقد قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[يوسف: ١٠٨]، قال ابن عاشور: "والبصيرة: (فعيلة) بمعنى (فاعلة)، وهي الحجة الواضحة، والمعنى: أدعو إلى الله ببصيرة متمكنا منها، ووصف الحجة بـ﴿بصيرة﴾ مجاز عقلي، والبصير: صاحب الحجة؛ لأنه بها صار بصيرا بالحقيقة"(١).

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٣/ ٦٥، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، ١٩٨٤م.

وإذا نظرنا المعاني اللغوية لكلمة "بصر" وجدناها كالآتي: "**بصر**": الباء والصاد والراء أصلان: أحدهما العلم بالشيء؛ يقال: هو بصير به... والبصيرة: البرهان. وأصل ذلك كله وضوح الشيء..... ويقال: بصرت بالشيء؛ إذا صرت به بصيرا عالما، وأبصرته؛ إذا رأيته"(١).

ويعرفها ابن القيم بقوله: "هي نور يقذفه الله في القلب، يفرق به بين الحق والباطل، والصادق والكاذب"(٢). والقلب له رؤيته كما للعين رؤيتها، ورؤية القلب هي البصيرة، ورؤية العين البصر، وكما أن الإبصار للعين لا يكون إلا بنور، فكذلك إبصار القلب بحاجة للنور، فأما العين فتبصر من خلال النور الحسي؛ بخلاف القلب؛ فهو يبصر بالنور الذي يقذفه الله في القلب.

والمسلم الحق يضع هذا الدعاء نصب عينيه؛ وهو: "اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي بصري نورا، وفي سمعي نورا، وعن يميني نورا، وعن يساري نورا، وفوقي نورا، وتحتي نورا، وأمامي نورا، وخلفي نورا، وعظم لي نورا"(٣)؛ لأن هذا النور وحده هو سبيل نجاته، وقد جاء النور محيطا بالمسلم، ففيه ذكر القلب والسمع والبصر والجهات الست(٤)، قال ابن حجر نقلا عن الطيبي: "معنى طلب النور للأعضاء عضوا عضوا: أن يتحلى بأنوار المعرفة والطاعات، ويتعرى عما عداهما، فإن الشياطين تحيط بالجهات الست بالوساوس؛ فكان التخلص منها بالأنوار السادة لتلك الجهات، قال: وكل هذه الأمور راجعة إلى الهداية والبيان وضياء الحق، وإلى ذلك يرشد قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[النور: ٣٥]"(٥).

إن مشكلتنا اليوم لا تكمن في نقص المعلومة، ولا في فقر المعارف العلمية، ولا من الأمية، بل أكثر الناس اليوم قد قضوا سنوات طويلة في الدراسة، من الطفولة حتى الجامعة،

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ١/ ٢٥٣-٢٥٤.

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم، ١/ ١٣٩، تحقيق: محمد المعتصم، الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ.

(٣) متفق عليه: البخاري، رقم (٦٣١٦)، اعتنى به: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ؛ ومسلم، رقم (١٨١).

(٤) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١١٧، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٥) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١١٨.

ومع ذلك هناك قلق ومعاناة وحيرة، هناك بصر وسمع دون بصيرة[1]، فكم يرى الإنسان ويبصر ويسمع، ولكن مع ذلك هناك عمى مشهود عند بعض الناس، وهناك انزلاقات وحيرة، هنا تظهر أهمية **البصيرة** المركبة من العلم والوعي والعمل.

وتشتد الحاجة للبصيرة، والنور، والمفتاح الشرعي، مع ضخامة المتغيرات، وكثرة الشبهات، واتساع التضليل، ونشاط أهل الأديان الضالة والمذاهب الفاسدة، وكل جهة ذات منابر شتى، وأقوال فاسدة مضللة، ومن لم يكن له نور في هذه الظلمات فهو في خطر كبير، ومن ثم فالواجب هو العناية بما يبصره في هذه الظلمات.

نماذج للمواقع والتطبيقات:

هناك نماذج لمواقع وتطبيقات شرعية تحقق المطلب الأول، أسرد من أهمها ما يأتي:

الأول: موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ويتميز الموقع بسهولة البحث في فتاوى كبار العلماء، وهي تحمل أرشيفا عظيما حول مسائل عصرية كثيرة، تكون مفتاحا لبناء الوعي حولها.

الثاني: موقع "الإسلام سؤال وجواب"، ويتميز باشتمال الجواب على نقولات عن علماء ومفسرين وفقهاء، وترتب في مقاطع قصيرة، مركزة ومنسقة بما يخدم تحقيق رؤية شرعية حول الموضوع المقصود.

الثالث: موقع البحث في "الموسوعة الفقهية الكويتية"، والمتاح على موقع: "الإسلام الدعوي والإرشادي"، بإشراف معالي الشيخ صالح آل الشيخ، وتعد الموسوعة الكويتية من النفائس المهمة في عصرنا، وهي مكونة من خمسة وأربعين جزءا، وقد تسهل للمطلع في موادها أن يبحث عن طريق باحث الشبكة.

---

(١) ذكر "الراغب" أن "البصر" يقال للجارحة الناظرة، وللقوة التي فيها، ويقال لقوة القلب المدركة: بصيرة وبصر... ولا يكاد يقال للجارحة: بصيرة. مفردات القرآن للراغب، ص١٢٧، تحقيق: صفوان داودي، دار العلم، دمشق، طبعة ١٤١٢هـ.

الرابع: تطبيق "الإسلام سؤال وجواب" على الجوالات الذكية، وهذه ميزة مهمة؛ حيث يمكن الوصول للمسألة بيسر وسهولة، ويكون محملا على الجهاز، ويصل للموضوع عبر خدمة البحث.

ومما نتمنى تحقيقه بشكل عملي وضع موقع مفهرس للملفات العلمية الصوتية للعلماء، والتي أصبحت ممكنة بفضل التطور التقني، بحيث تحمل فتاوى العلماء كالشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين رحمهما الله، ويتم البحث بالمفردة، فتخرج جميع المقاطع التي تحوي هذه المفردات؛ وذلك لأن كثيرا من نتاج هؤلاء العلماء الكبار العلمي نتاج صوتي، وللمادة المسموعة كيفيات خاصة في التأثير والإفهام تفوق كثيرا المادة المكتوبة أو المقروءة، بل عندما تتحول تلك المواد المسموعة إلى مكتوبة، فإنها تفقد جزءا من جاذبيتها.

وبعد أن تحقق المقصود من مطالعة الرؤية الشرعية العامة لهذا الموقف، فقد أصبح جاهزا للانتقال للخطوة الثانية في مسار بناء الوعي بهذا الموضوع، وهو بحث هذا الموضوع في الموسوعات والأطالس الثقافية، فما دور هذه الأداة في بناء الوعي؟



المطلب الثاني

الموسوعات والأطالس الثقافية

بعد أن تحدد موضوع الوعي باسمه أو وصفه، وعرف المفتاح الشرعي له، تأتي مرحلة معلوماتية مهمة في بناء الوعي، عبر أداة ذات أهمية كبيرة في الإلمام بمكونات الموضوع الأساسية، ويكون ذلك بواسطة الموسوعات والأطالس الثقافية(1).

وفائدة هذه المرحلة تكوين معرفة عامة بمكونات الموضوع وخريطة الحركة العامة بين هذه المكونات. وإذا كان المفتاح الشرعي أشبه بالفتوى؛ فإن مفتاح المعلومات أشبه بلقطة آلة تصوير "كاميرا"، ولكنها آلة تصوير تعمل بمستوى الظاهر والباطن، العدسة العادية للظاهر

(1) ينظر حولها: قواعد أساسية في البحث العلمي، د. عثمان صيني، ص١٩٩-٢٠٠، الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٣١هـ؛ ومدخل لدراسة المراجع، د. عبد الستار الحلوجي، ص١٧ وما بعدها، دار الثقافة، القاهرة.

وبالأشعة للباطن، بحيث نحصل على معلومات داخلية وخارجية عن الموضوع؛ وأيضا تعمل بقدرتي التصغير والتكبير، فتأتي للمعلومات الكثيرة فتكثفها في حجم صغير، والمعلومات الدقيقة الخفية فتكبرها لكي ترى؛ كما أنها تصور البعيد بعد أن تقربه كالكاميرات المرتبطة بالمقربات.

فكل موضوع له مكونات أساسية، وهناك علاقات بين هذه المكونات، تشكل فيما بينها نسقا متكاملا للموضوع، فما هذه المكونات؟ ثم كيف نتقل من مكون إلى آخر، من البدايات حتى النهايات، ومن الجزء للكل، ومن المؤسسين إلى واقعها في الماضي والحاضر، وهكذا الطريق إلى ذلك واسطته الموسوعات والأطالس الثقافية.

وتعد الموسوعة المرجع الأول للمعلومة في كل بلدان العالم، وهناك عناية كبرى بها في الدول الحديثة، تتميز بما توفره من الوقت، مع معلومة موثقة، مختصرة، تجيب عن الأسئلة المهمة، من مثل: ماذا؟ كيف؟ من؟ متى؟

وهذه الموسوعات أنواع، وأهمها: **العامة** التي تحوي موضوعات المعرفة البشرية بعامة، **والخاصة** التي تكون في مجال معين أو موضوع واحد، مثل الموسوعة الفلسفية أو الطبية أو الفلكية وما شابه.

وبدون شك فإن المعلومة المرتبة والموجزة هي أساس انطلاق الذات للوعي بما حولها، فما إن تقع العين على شيء أو تسمع الأذن مفردة دون معرفة سابقة بها، أو مع معرفة ناقصة، فإن الذات تتطلع إلى بناء معرفة بهذا الموضوع، فتبحث عن المعلومات التي تشكل معرفة بهذا الموضوع؛ واليوم ثمة سباق بين الموسوعات العالمية لتغطية المعارف الإنسانية عبر فهرستها ووضع ما يناسبها من المعلومات.

ومع ميلاد الإنترنت -وبخاصة مع الجيل الثاني منه، (ويب٢)- تم إبداع تطبيق (**الويكي**)، وهو تطبيق يمكن الأشخاص من إنشاء موسوعات على الشبكة، وانطلق مع هذا التطبيق أشهر الموسوعات على الشبكة "ويكيبيديا"، بلغات مختلفة، وبمحتوى متطور، وأدوات بحث وربط مميزة؛ كما أن هناك موسوعات مختلفة تم إنشاؤها وفق هذا التطبيق،

وهناك موقع خاص بالتعريف بها ومتابعة الجديد منها، وهو موقع "دليل ويكي – ويكي إينديكس"[1]؛ وإننا في حين نجد فيه المئات باللغة الإنجليزية، لكننا لا نجد إلا القليل باللغة العربية.

ومن أشهر الموسوعات الحديثة "الموسوعة البريطانية"، ومع التحولات الشبكية قامت الموسوعة بالتكيف مع هذا التحول؛ لتحتل موقعا مميزا على شبكة الإنترنت، ثم قفزت قفزة نوعية بوضعها قسما خاصا بالأطفال، وقسمته ثلاثة أقسام: **الأطفال** حتى الصف الخامس؛ **الطلاب** من السادس حتى الثامن؛ **العلماء** من التاسع فما فوق؛ وتم تنسيقها تنسيقا إبداعيا يسهم في تقديم معلومات بما يناسب سن الأطفال، ويكون مفيدا لهم في واجباتهم المدرسية وملبيا لتطلعاتهم المعرفية[2].

كذلك من أبواب جمع المعلومات حول موضوع ما، بوابة **الأطالس الثقافية**، وهي التي تجمع بين المحتوى المعرفي والمكان، وبعضها قد يحول المعلومات إلى ما يشبه الأطالس الجغرافية؛ من جهة الرسومات والجداول والصور والأشكال؛ وهي ثورة كبيرة في إخراج معرفة بالمواضيع المعرفية، ولكنها تعد أصعب من الموسوعات، ولا نكاد نجد شيئا منها باللغة العربية سوى الجهود الرائدة لسامي المغلوث في مجموعة أطالس أعدها بمجهود فردي، وأخرج العديد منها، من مثل: أطلس الأديان، أطلس الفرق والمذاهب، وغيرها، ومعلوم أن نجاح مثل هذه الأعمال بحاجة لجهات مؤسسية وإلى محررين متخصصين في جوانب عدة، ومع ذلك فقد استطاع أن يقدم جهدا يسهم في فتح الباب لمشاريع نوعية في المستقبل.

ورغم أن الغالب على هذه الموسوعات اهتمامها بالمعلومة المجردة من التقويم، أي: مجردة من الحكم على المعلومة أو الجودة والرداءة؛ إلا أنه يجب الاحتياط عند أخذ معلومة منها، ذلك أن صانعيها من غير المسلمين؛ فيخشى أن تتسرب قيم صانعي هذه الموسوعات

---

(١) ينظر موقعه على الشبكة: http://wikiindex.org/Welcome.

(٢) ينظر موقعها على الشبكة: https://kids.britannica.com.

وتوجهاتهم إلى محتوى موسوعاتهم فتؤثر على مرتاديها، بشكل مباشر أو غير مباشر. ومن ثم فلا بد من أخذ بعض الحيطة معها.

نماذج للموسوعات والأطالس الثقافية:

نحن في الموسوعات أمام جهتين لا انفكاك عنهما، وهما الموسوعات الورقية وتطبيقاتها الحاسوبية، والموسوعات المتاحة على شبكة الإنترنت، وأهم موسوعة يمكن الرجوع إليها من النوع الأول، "الموسوعة العربية العالمية"، والثاني، موسوعة "ويكيبيديا".

الموسوعة العربية العالمية، وهي موسوعة ضخمة، تقع في ثلاثين مجلدا، أسهمت في سد الفراغ الذي استمر طويلا في لغتنا العربية، ومع أنه اعتمد على ترجمة "دائرة المعارف العالمية"، إلا أن معدي هذه الموسوعة قد بذلوا جهدا كبيرا في ترجمتها؛ مع حرصهم على إزالة ما يشين الإسلام أو يمس ثابتا من ثوابته، وحرصهم على أن تبرز فيها ذاتية الحضارة الإسلامية(1)، ولم يكتفوا بالمواد المترجمة بل تمت إضافة مواد كثيرة أسهم فيها عشرات الباحثين والمترجمين والكتاب لإنجاز هذا العمل المهم.

ذكر في مقدمة التعريف بها أنها: "وسيلة فعالة للتعلم، وهي موسوعة معارف عامة، تحدثك عن الناس والأماكن والأشياء والأحداث والأفكار، وتزودك بمعلومات دقيقة، تعثر عليها في يسر، وتفهمها بسهولة"(2)، وهذا التعريف هو ما نبتغيه في خطوات الوعي وبناء أدواته.

وقد أنجزت الموسوعة خطوة مهمة في فتح موقع متوافق مع تطبيقات الشبكة، ويتسم بخاصية مهمة؛ وهي إضافة مواد جديدة كانت الحاجة إليها ماسة بعد طباعة الموسوعة، ولكن للأسف لم ينجح الموقع في الاستمرار رغم أهميته.

أما الموسوعة الأخرى المتاحة على الشبكة فهي **"ويكيبيديا"**، وقد أصبحت مصدر الكثيرين في بحثهم عن المعلومة، وتتميز بأنها من الناس للناس؛ بحيث يمكن لكل فرد

---

(1) ينظر مقدمة الموسوعة، ١/ ٣٠، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.

(2) الموسوعة العربية العالمية، ١/ ٤٦.

مشارك في الموسوعة أن يشارك في موادها، بل باستطاعته أن يقوم بالتعديل على المواد الموجودة، وبقدر ما تثير هذه الخصائص من مشكلات إلا أن الموسوعة أصبحت مصدرا مهما لكثير من الناس في طلب المعلومة.

ومما يدل على اهتمام البشر بالموسوعة والمعلومة ضخامة هذه الموسوعة التي لا تحوي في النهاية أي مادة ترفيهية، بل هي مكان للمعلومات، ومع ذلك تجد ذلك الإقبال الكبير للكتابة فيها من قبل الناس من جهة، والإقبال الأكبر في البحث فيها عن المعلومة من جهة أخرى، بل يكون الفرد في لحظة كاتبا لمادة جديدة في الموسوعة، وفي نفس الوقت هو باحث عن معلومة فيها.

وقد عرفت الموسوعة نفسها بأنها: "مشروع موسوعة رقمية، متعددة اللغات، حرة المحتوى، يستطيع أي شخص التحرير فيها بدون تسجيل، ويستطيع أي شخص الاستفادة من المحتوى، واستغلاله بهدف تجاري أو غيره؛ وفقا لترخيص الموسوعة، وتمتاز الموسوعة بأنها يوجد منها 295 نسخة من ويكيبيديا بلغات مختلفة، وفي النسخة العربية يسهم أكثر من ٤٢٣١ مساهما نشطا في كتابة ما يزيد عن ٥٤٨.٤٧٢ مقالة، ويجري آلاف الزوار من مختلف أنحاء العالم كثيرا من التعديلات، وينشئون كثيرا من المقالات الجديدة يوميا"(١).

وبدون شك فإن هناك جدالا كبيرا حول موثوقية هذه الموسوعة مقارنة بالموسوعة المغلقة، ومع ذلك فهي مصدر مهم لكثير من طلاب المدارس والمحتاجين إلى معلومة سريعة حول مفردة ما. وهذا يبين لنا طريق كثير من البشر في خطوة مهمة من خطواتهم للوعي بمعلومات حول موضوع ما، وتبين أهمية فعالية المسلمين بكل اللغات المتاحة للكتابة عن إسلامهم للتعريف به لكل من بحث عنه بتلك اللغات.

وأما **الأطالس الثقافية**؛ فهي فقيرة جدا إذا ما قورنت بالموسوعات، وإن كان هناك بعض التحسن في الموسوعات، وللأسف فما نشاهده في أثناء زيارة الأقسام الإنجليزية من المكتبات من حجم الأطالس يدعونا للأسف عن تقصيرنا في هذا المجال، مع أن الفرق لم يعد

(١) تم أخذ هذه المعلومة مساء الإثنين، بتاريخ: ١٧/ ٣/ ١٤٣٩هـ.

كبيرا بين الموسوعات والأطالس باستثناء التوسع في البعد الجغرافي للمعلومات الثقافية، ومن بين الأطالس المترجمة المتخصصة "أطلس الفلسفة"، أو "أطلس معلومات العالم العربي؛ المجتمع والجغرافيا السياسية"، ومن بين الأعمال الفردية ما قام به سامي المغلوث كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وهناك مجموعة متخصصة، مثل: "أطلس الفرق والمذاهب الإسلامية، د. شوقي أبو خليل"، "أطلس القرآن: أماكن، أقوام، أعلام"، "أطلس الحديث النبوي من الكتب الصحاح الستة".

وفي الجانب الديني هناك أطالس بحاجة للانتباه، وبخاصة أنها توجه المطلع لها حسب وجهة مؤلفي الأطلس، كما هو حال "أطلس الكتاب المقدس"(١)، الذي حاول ربط ما في الكتاب المقدس عند النصارى بمواقع جغرافية وصور وخرائط وغيرها ذات صلة بواقع المسلمين.



المطلب الثالث

المتخصص

إن الوسيط بين الذات والمعرفة هو المعلم أو المتخصص، وهو خطوة مهمة لا غناء عنها في بناء الوعي، فكما أنه من الخطأ البدء دون مفتاح شرعي، فكذلك أيضا الاعتماد على الذات في بناء معرفتها دون الرجوع لمتخصص لهو من الخطأ بمكان.

وأهمية المتخصص في هذه الخطوة تكمن في أنه يضع الخطوات المناسبة لمسيرة طالب الوعي، فهو أشبه بوضع سكة القطار التي ينطلق عليها القطار بيسر نحو هدفه، وتزداد أهمية ذلك في الوعي الديني، فمن أراد الوعي بالتحديات والمخاطر، وأراد مهارات عملية لتوقيها أو تجاوزها، فهو بحاجة للمتخصص والخبير، فإن الخبير تقع عينه على ما لا تقع عليه عين فاقد الخبرة، فإن الخبير يختصر الطريق للباحث، ويرسم له ما يناسبه، ويقدم له ذلك في قالب من النصيحة الصادقة الخالصة.

---

(١) وهو محمل على مواقع شبكية عديدة، ينظر مثلا: https://st-takla.org/Coptic-Bible-Maps/Holy-Bible-Map-index-00.html.

وتزداد الحاجة إلى صاحب الخبرة هذه الأيام، وذلك أن طالب الوعي يجد نفسه غريقا في بحر من المعلومات، وتتجاذبه عشرات المصادر، فلم تعد المشكلة في شح المعلومة، بل في وفرتها كالطوفان، ولو اكتفينا بعالم الإنترنت لوجدنا فيه مئات الكتب في الباب الواحد، ومئات المنتديات التي تناقشه، وملايين البشر على شبكات التواصل الاجتماعي يتبادلون النقاش في الموضوع بآراء شتى، وتقدم بواحيث تلك الشبكات لكل ما قيل بلمسة تنفيذ البحث، ومثلها المئات من الملفات الصوتية وملفات الفيديو، ومئات الصفحات الإخبارية أو الثقافية في عالم لا تظهر نهايته للمتصفح لها، وقد يفاجئك أحد البواحث مثل "قوقل" بطرح أكثر من مليون موقع لمفردة تبحث عنها، وبعد أن كنت فرحا بتيسير المعلومة ومستبشرا بتحصيل أدوات الوعي، وإذا بك أمام تيه لا يتحقق معه الوعي، بل تلحظ مزيدا من التشوش والارتباك.

كيف نقوم بتصفية الطوفان المعلوماتي الرهيب؟ كيف يمكننا بناء الوعي أمام معلومات متكاثرة يعارض بعضها بعضا، وكل معلومة تظهر بأقوى منطق وأجمل شكل؟ وكيف نستطيع الخروج بنتيجة مما اخترناه من هذا الطوفان؟ كيف نحلل ونمسك بعناصر نركب منها وعينا الجديد؟

لقد تحول العقل المستقبل للمعلومات إلى ما يشبه الخزان الذي يجمع ما يلقى فيه، أو القرص الحاسوبي الذي يخزن مئات الملفات، ولكن دون قدرة على الاستفادة منها، نعم يحمل في داخله أسفارا كثيرة، لكن دون قدرة على الإفادة منها.

ثم كيف تخلص له الفوائد وهناك صفحات كثيرة مبثوثة في الفضاء المعلوماتي مهمتها تزييف الوعي وليس تحقيقه، وهي تملك أسلوب عرض فاتن، وتملك أقوى أدوات التلبيس والإضلال، وتظهر في صورة الطرح الموضوعي مع دعوى التشبع بالمبادئ.

كل هذه الأبعاد تكشف لنا هذه الثنائية المدهشة: الوعي والوعي الزائف، المبادئ والمصالح، الخير والشر، أهل الحق وأهل الأهواء، كل ذلك مجتمع في شاشة واحدة، وتنبثق أمام الوعي بلمسة إصبع.

ونحن أمام فرص مهولة من توفر المعرفة، ولكننا في الوقت نفسه أمام تحد كبير في التعامل معها، وهنا تأتي أهمية **المتخصص**، وهو وإن كان لا يخلو من معاناة مع هذه المستجدات، إلا أنه أفضل حالا؛ وذلك بسبب تجربته الطويلة، وبما يملكه من أدوات وعي وأدوات منهجية لفلترة المدخلات وتحليل العناصر التي تم قبولها؛ من أجل الخروج بأفضل النتائج.

ولعل أفضل الوعي هو ذاك الذي تتعود النفس من خلاله أن ترتبط بمتخصص، وأن تبدأ معه قبل الانطلاقة، وهذا الوعي إن لم يتيسر لشخص بعينه، فلا بد أن ثمة مواقع متخصصة يمكن أن يتم ترشيحها من متخصصين أمناء، بحيث تكون هي نقطة الانطلاقة، على أن يتم العودة إليها دائما عند الابتداء مع موضوع التخصص.

إن مشكلة قلة المتخصص لهي أزمة حقيقية، وإذا وجد منهم أحد؛ فإن التواصل معه يكون أمرا من الصعوبة بمكان، ومن يمكن التواصل معه، فقد لا يكون واعيا بطرق توعية الآخرين، أو الطرق المناسبة لتقديم ما لديه إلى غيره؛ والأصل في المتخصص أن يكون كالطبيب الذي يختار من الدواء ما هو أنسب للمريض، وليس أن يعطيه كل دواء، وإذا أعطاه الدواء، فلا بد أن يبين له جرعاته المناسبة وأوقاته وكذلك التنبيهات الخاصة بهذا الدواء، فليس المتخصص الواعي هو الذي يقدم المعلومات فقط، فهي متوفرة في كل مكان، وإنما يكمن دوره في تقديم الإرشاد في نوع المعلومة المناسبة وطريقة التعامل معها.

ويشترط للمتخصص أن يتكلم في المجال الذي يتقنه ويحيط بجوانبه؛ فإن التخصص أمر مطلوب في هذا الموضوع، وقد دلنا الله عز وجل على اختيار أهل كل شأن سؤالهم لأخذ العلم منهم، فقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[النحل: ٤٣]، وقد ذكر ابن الجوزي أربعة أقوال في هذه الآية، وهي جميعها تدل على أهمية اختيار أهل التخصص، قال ابن الجوزي: "فسألوا يا معشر المشركين أهل الذكر، وفيهم أربعة أقوال؛ **أحدها:** أنهم أهل التوراة

والإنجيل؛ **والثاني**: أهل التوراة؛ **والثالث**: أهل القرآن؛ **والرابع**: العلماء بأخبار من سلف"(١)، فإذا جاء ذكر منزلة المتخصص حتى من غير المسلمين في مطلب ديني، فكيف ببقية الأمور؟!

وقد قيل: العلم خزائن ومفاتيحها السؤال، فسؤال المتخصص هو المنفذ المهم للعلم والوعي.

وقد أضاف السعدي رحمه الله استنباطات مهمة من هذه الآية العظيمة، فقال: "وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل، فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية؛ لهم حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والاتصاف بصفات الكمال"(٢).

وقد جاء في الحديث ما يبين أهمية العالم للناس، وأهمية عناية الأمة بالعلم وبناء العلماء، وعلى غرار ذلك من يحقق الكفايات في التخصصات المهمة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد؛ ولكن يقبض العلم بقبض العلماء؛ حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا"(٣)، فربط العلم بالعلماء، وهذا فيه دلالة على أهمية العالم والمتخصص، بل جاء في الحديث ما يبين أن المكتوب لا يكفي؛ ما لم يصحبه عمل، مع أنه يحوي العلم، فيكون دور العالم العامل هو تزكية نفسه وتزكية الخلق بالعمل بما علم، فعن أبي الدرداء قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشخص ببصره إلى السماء، ثم قال: "هذا أوان يختلس العلم من الناس؛ حتى لا يقدروا منه على شيء"، فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس العلم منا وقد قرأنا القرآن؟ فوالله لنقرأنه، ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا، فقال:

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ٢/ ٥٦١ باختصار، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٢) تفسير السعدي، ص:٤٤١، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٣) البخاري، رقم (١٠٠)؛ مسلم، رقم (٢٦٧٣).

"ثكلتك أمك يا زياد، إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فماذا تغني عنهم؟!"(١).

فدل هذا على أهمية العالم ومن في حكمه، وأن حاجة الناس لهم لا تنقطع، ومن ثم، فلا غنى عنه، وفي الحديث تنبيه لمشكلة كبيرة؛ وهي أن يتخذ الناس رؤوسا جهالا، فالقدوة الجاهل ينشر الجهل بقوله أو بمكانته، فيضل نفسه وغيره؛ وهذا يوجب على المسلم أن يجتهد في البحث عن العالم والمتخصص الحقيقي، الذي جمع بين العلم والعمل والأمانة. كما أن الملكة والتي سيأتي الحديث عنها في الأداة الأخيرة بحاجة للمتخصص، وهذا ما أكده لنا علامة الاجتماع ابن خلدون بقوله: "حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها"(٢).

وهنا يرد تساؤل عند من يجعل الذات مطالبة بالنظر في الدليل وعدم التقليد؛ خوفا من مضار التقليد التي جاء الوحي بإنكارها والتحذير منها؛ من تقليد المعظمين والمضلين والآباء والأجداد، وهي مسألة بحاجة لتحرير؛ فإنه يتعذر على عامة الناس الاعتماد على قواهم الذاتية، بل إن من يمنعون التقليد أنفسهم ليس لديهم أدنى مقدرة على تحقيق الملكة الكافية لمعرفة الحكم ذاتيا من عند أنفسهم؛ إلا بعد تلقي العلم عن المعلمين.

والأمر نفسه في كل باب من أبواب التعلم والوعي، فإنه لا بد من متخصص يساعد المتعلم في مرحلة ما، فإذا اكتسب ما يحقق فيه الملكة الفكرية وملكة الوعي، فإنه يستقل نسبيا؛ لأنه مهما كانت معرفته وإمكاناته في هذا الزمن، فلا بد مع تجدد المعارف وميلاد التخصصات الجديدة من متخصص يقرب لنا هذه المستجدات؛ فإن العلم بالتعلم(٣)، فلا يقف عند حد.

---

(١) سنن الترمذي، رقم (٢٦٥٣)، وقال: هذا حديث حسن غريب، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٧هـ. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٩٩٠)؛ وأوان: أي وقت، ينظر تحفة الأحوذي..، للمباركفوري، ٧/ ٣٤٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ٢/ ٢٨٥، تحقيق د.على عبدالواحد وافي، نهضة مصر، القاهرة، دون بيانات أخرى.

(٣) جاءت "وإنما العلم بالتعلم" في باب العلم قبل القول العمل من صحيح البخاري مع الفتح، ١/ ١٦١، قال ابن حجر: "هو حديث مرفوع أيضا، أورده ابن أبي عاصم والطبراني من حديث معاوية أيضا بلفظ: يا أيها الناس تعلموا، إنما العلم بالتعلم، والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، إسناده حسن".

كيف نبني قائمة المتخصصين؟

عندما يشعر المسلم بأن عقله وقلبه وروحه أمانة ربانية، وأنه يجب عليه أن يحفظ هذه الأمانة؛ بأن يختار من يوجهه؛ ويشترط فيه أن يكون قادرا على التوجيه النافع؛ فهذا الشعور يدفعه للبحث عن أحسن المتخصصين لما يحقق علمه ووعيه؛ وكما أن الإنسان العادي يحرص قدر إمكاناته على أن يبحث لنفسه إن تمكن من ذلك عن أحسن طبيب لمرضه أو أحسن بناء لمنزله، أو أحسن مهندس لمشروعه، فمن باب أولى أن يبحث عن المتخصص الأفضل لما يبني علمه ووعيه.

وفي مجال الوعي الفكري هناك قائمة بأنواع **المتخصصين** المهمين لطالب الوعي، فإذا وضع هذه القائمة، فإنه يسأل ويبحث عن أفضل متخصص في كل مجال مهم له، ثم ينظر في طرق التواصل الأمثل معه للاستفادة منه، وبعض التجارب تضع في قائمة عناوين الاتصال ملفا خاصا بالمتخصصين، مع معلومة قصيرة عن مجال تخصصه وطريقة التواصل معه، بل هناك تجارب تحوي قائمة عناوين هاتفه، ثلاثة على الأقل في أغلب المجالات التي هي بحاجة لمتخصص، تبدأ بمتخصص في القضايا الأسرية، وفي أنواع العلوم الدينية، والأطباء، والقانونيين، والإعلاميين، وهكذا بحسب احتياجه، ومطالب الوعي الفكرية تتركز في دوائر الانتماء الإنسانية وبعض المتغيرات المؤثرة، فدوائر الانتماء الثلاث المهمة: الانتماء الديني، والانتماء الفرقي، والانتماء الفكري؛ ودوائر المتغيرات المهمة، مثل: الإعلام والاتصال، والمتغيرات الاجتماعية وتبعاتها الفردية والأسرية، وأمثال ذلك؛ بحيث يكون مع الشخص مجموعة أسماء متخصصة في هذه الأبواب المهمة؛ وتعد الشبهات المعاصرة والإشكالات العصرية ذات تعقيد خاص وتأثير خطير، ومن ثم فلا بد من أسماء متخصصة يسهل التواصل معها في هذا المجال.

ونظرا لصعوبة وجود متخصص فهناك خط مواز يمكنه الإسهام النسبي في سد الحاجة، وإن كان هذا الطريق لا يغني عن المتخصص، وهو **المواقع المتخصصة** على الشبكة في المجال الفكري، فهناك مواقع متميزة، ويشارك فيها نخبة متخصصة يكمل بعضها بعضا، وهي مفيدة

لمن كان قادرا على ضبط ذاته في التركيز على ما يهمه، مع العلم أن هذه المواقع المتخصصة متغيرة الأحوال، يصيبها ما يصيب البشر؛ من النشاط والكسل، القوة والضعف؛ فيصعب هنا ذكر موقع بعينه، ولكن الطريقة الذهبية لمعرفة المواقع المناسبة وقت الحاجة لها، هو سؤال أهل التخصص عنها.



المطلب الرابع

الكتاب

المراد بالكتاب هنا جميع الأدوات التي تحقق العلم بالموضوع، والكتاب غالبا هو أساسها، هنا ننتقل للبناء العلمي بموضوع الوعي، وقد لا يكون كل أحد بحاجة لهذه المرحلة إلا بما يحقق الوعي، فبعض موضوعات الوعي بحاجة لسند علمي، والكتب هي في الغالب موطن الصياغة العلمية للموضوعات المختلفة، والمقصود بالصياغة العلمية هنا اعتماد المناهج العلمية في بناء التصور حول موضوع معين؛ مع وضع أدلته الكافية.

وهناك حالات قليلة يضطر فيها طالب الوعي إلى رسم مسار حقيقي للبناء العلمي؛ وذلك بأن يتخصص في هذا المجال، ويسلك فيه مسلك الدارس، فيدخل أكاديمية متخصصة، أو يحصل على دورة علمية مكثفة، أو برنامج قرائي بإشراف من متخصص لمرحلة زمنية محددة.

وفي هذه الحالة يمكننا حصر ثلاثة مسارات مهمة، وهي:

الأول: القراءة الموجهة لمجموعة كتب ومقالات علمية تحت إشراف متخصص، وفي فترة زمنية محددة، وهي أيسر الثلاثة، ويمكن لمجموعة بحاجة لبناء علمي أن ترتب مع متخصص؛ بحيث يضع لهم برنامج قراءة يرتقي بهم في هذا المجال ويتابعهم عليه.

الثاني: تكوين المكتبة الخاصة، ووضع مسار خاص للقراءة، بحيث تحدد الموضوعات المهمة للوعي، ويوضع لكل مجال أهم الكتب فيه؛ بحيث يرجع إليها عند الحاجة.

ومن موضوعات الوعي الفكري: الانتماءات الثلاثة: الأديان والفرق والمذاهب، فما أهم كتاب في كل باب من هذه الأبواب الثلاثة؟ ويمكن أن نضع ثلاثة مستويات لكل باب؛ مستوى المبتدئ، ومستوى المتوسط، ومستوى المتمكن(1).

الثالث: الدروس والدورات، وذلك بأن يبحث الشخص عما يحتاجه من الدروس العلمية أو البرامج الأكاديمية أو الدورات، وتتميز غالبا بأن فيها أساتذة كثيرين، وتشتمل على مواد كثيرة تتكامل لبناء معرفة دقيقة بالمجال المخصص لها. وتعد البرامج التي تتجاوز الفصل الدراسي أقدر على تمكين الدارس من أدوات الوعي، وبخاصة تلك البرامج التي توسع مساحة المشاركة والتفاعل والتطبيقات.



المطلب الخامس

الإعلام والاتصال

لا شك أن مفهوم "الإعلام" كان معروفا قبل ظهور الهاتف والإنترنت؛ غير أن الاتصال أخذ شهرته بعد ظهورهما، ولنبدأ بتعريف المفهومين أولا، فالإعلام هو: "التبليغ والإخبار"، ويعرف أيضا بأنه "عملية تزويد الناس بالأخبار والحقائق والمعلومات الصادقة عن طريق وسائل"، وهو أيضا "نشر الأخبار والمعلومات والآراء والحاجات والمشاعر والمعرفة والتجارب على الجماهير بشكل شفوي أو باستخدام وسائل أخرى بغرض الإقناع أو التأثير على السلوك"(2).

أما الاتصال فهو: "العملية التي تنتقل بها الرسالة من مصدر معين إلى مستقبل واحد أو أكثر؛ بهدف تغيير السلوك"، وهو أيضا "العمليات التي بواسطتها تنتقل المعلومات بين الأفراد أو المنظمات بمعان وطرق وإشارات متفق عليها"(3).

---

(1) يمكن الاستفادة هنا من الدليل المهم الذي وضعه أحمد سالم في كتابه: السبل المرضية لطلب العلوم الشرعية؛ دليل شامل لدراسة العلوم الإسلامية، مركز تفكر للبحوث والدراسات، ط1، 1437هـ.

(2) معجم الدعوة والإعلام الإسلامي، د. طه الزيدي، ص41، دار النفائس، الأردن، ط1، 1430هـ.

(3) المرجع السابق، ص12-13؛ وينظر: التربية الإعلامية، د. فهد الشميري، ص48، الرياض، ط1، 1431هـ.

وكما يبدو من التعريفين يظهر اشتراكهما في معنى النقل والإيصال، وإذا نظرنا للوسائل المهمة التي بها يقوم الإعلام والاتصال، نجد أنها تقوم بنقل وإيصال محتوى، ويمكن أن نطلق على هذا المحتوى أنه إعلامي.

ولم يرتبط الإنسان بالإعلام مثل ارتباطه به في هذا العصر؛ حتى إنه يمكن أن يعرف الإنسان بأنه كائن إعلامي، فهو لا يستطيع العيش دون إعلام، وقد بدأ **الإعلام المقروء** مع الصحافة كالجرائد والمجلات؛ ثم **الإعلام المسموع** مع الإذاعات والأشرطة المسجلة؛ وأخيرا **الإعلام المرئي** مع الشاشات والسينما والأفلام المصورة؛ ثم جاءت ثورة كبيرة مع ظاهرة الأقمار الصناعية وميلاد **البث الفضائي** وانتشار القنوات الفضائية؛ ثم جاءت ثورة أكبر مما سبقتها؛ وهي مرتبطة بالحاسوب والشبكات، فجاء ميلاد **الإنترنت** ومحتواه الضخم؛ خاصة شبكات التواصل الاجتماعي بتطبيقاتها التي يجتمع فيها ملايين البشر.

ومع ثورة الإنترنت، بل ثوراته ظهر مفهوم الاتصال بشكل أكبر؛ وبخاصة مع شبكات التواصل الاجتماعي، التي تحقق تواصل البشر فيما بينهم، ومن كل مكان، وبكل اللغات، ووقع الانفجار الكبير في عالم الإنترنت؛ فبعد أن كان الواحد يكاد لا يتصل إلا بأستاذ أو متخصص، وإذا به أمام مئات المتخصصين، ومواده المكتوبة والمسموعة والمرئية متاحة له، في كل مكان، وفي أي وقت، وهو قادر على استعادتها وتكرارها دون انقطاع.

لكن هذا التحول الثوري في الوسيلة قد لا يقابله ما يكفي من الوعي النافع، وأحد أهم الأسباب لذلك عدم قدرة المتلقي على الانفصال قليلا عن هذه الوسائل؛ بحيث يمكنه التفكير فيها، فهو كالنملة التي تجمع وتجمع ثم تستهلك ما جمعته؛ بخلاف النحلة التي تطوف الحقول، وتجمع المفيد لها، ثم تعود وتصنع منه عسلا؛ وحالنا اليوم أسوأ من النمل؛ لأننا لا نستفيد حتى مما جمعنا، فهناك لهث دائم خلف كل ما هو جديد، وهذا الجديد يتجدد كل لحظة، بل اللحظة الواحدة تشهد انبثاق أنواع وأشكال وصفحات مهولة من المعلومات والأخبار.

إن أعظم هدف لهذه المرحلة: بناء وعي إعلامي بالموضوع الفكري، وبخاصة في مجالين مهمين، وهما مجال **التطبيق، ومجال الجديد**؛ فالمتابع يستفيد من الإعلام بمتابعة **تطبيقات**

الفكرة في الواقع، بحيث ينظر في الفرق بين النموذج والتطبيق، هل التطبيق متفق مع الفكرة أم الفكرة تغيرت بعض معالمها عند التطبيق؟ وإذا كان كذلك- وهو في الغالب كذلك- فما حجم الفارق؟ فهو يستفيد من الإعلام هنا معرفة واقع هذه الأفكار في حياة البشر اليوم(1).

أما مجال **الجديد** فالمتابع في حاجة أيضا إلى معرفة **الجديد** حول الموضوعات الفكرية؛ في بنيتها ومناهجها، أو حول المنظرين لها، أو النظريات الجديدة والكتب والمقالات، فالإعلام الثقافي يحرص على متابعة الجديد.

فإذا كان مجال عناية الشخص هو الرأسمالية، أو العولمة الفكرية، أو حقوق الإنسان، أو مستقبل الإسلام، أو أثر شبكات التواصل الاجتماعي، أو غيرها، وتخصص في مجال بعينه، فهو بحاجة إلى أن يرتب الوسائل التي تهتم بموضوعه، ثم يركز على الأمرين في أثناء متابعته الإعلامية، كيف التطبيق؟ وما الجديد؟

والمجال الفكري بحاجة إلى نوعين من الإعلام الذي يعزز بناءه الفكري؛ إعلام فكري وثقافي خاص، وإعلام ثقافي عام؛ فالأول **الخاص** لا يوجد فيه إلا المتخصصون في هذا المجال، ويخدمهم الإعلاميون؛ بخلاف **العام**؛ فهو متاح للهواة والإعلاميين المثقفين؛ وكلاهما مفيد، ولكن الأول يمتاز بكونه أكثر عمقا؛ فهناك مجلات متخصصة، ومواقع، ومنتديات تتميز باحترافية عالية، وقد لا يكون فيها عدد كبير من المشاركين، ولكن ثمرته تزيد لمن يهتم بالبناء الفكري؛ وذلك أنه يخصص لها وقتا أسبوعيا، ويطالع ما فيها بتركيز واهتمام.



(1) يوجد كتاب للدكتورين: جاسم جرجيس، وبديع القاسم، بعنوان: مصادر المعلومات في مجال الإعلام والاتصال الجماهيري، ذكرا فيها ما يبين أهمية هذه الوسيلة، ونوع الفائدة التي تقدمها، وينظر بخاصة: ص٤٣؛ وص٢٣٩، مركز الإسكندرية للوسائط الثقافية والمكتبات، الإسكندرية، طبعة ١٩٩٨م، ومع أهمية الكتاب إلا أنه بحاجة لأمرين: إكمال النظر لما بعد ثورة الإنترنت، حيث توقف عند البث الفضائي؛ وبحاجة لبيان طرق التعامل مع المعلومة التي تمثل محتوى هذه الوسائل.

المطلب السادس

الممارسة

إن قراءة مجلدات حول السباحة لا تعني ضرورة أن قارئها سيكون سباحا، وكذلك قراءة الكتب حول أي لعبة لا تعني أن قارئها سيكون ماهرا، ومن يتابع صناعة الإعلام لا يعني أيضا أنه سيكون مذيعا أو مصورا أو صحفيا ماهرا، فما السبب؟ وهذا يعني أن المعرفة النظرية غير كافية في تحقيق الملكة إلا بالممارسة، فأدواته بحاجة للممارسة، والتدرب، مع الصبر؛ حتى تؤتي ثمارها.

والعمل في الوعي الإسلامي يختلف ضرورة عن غيره من صور الوعي في الحضارات الأخرى، فهو يرتبط بعمل قلبي إيماني وقيمي، ومن ذلك اعتماد القلب على الله بصدق التوكل عليه، والشعور بالمسؤولية، وتحمل الأمانة، والتخلق بأخلاق الإسلام في أثناء الاشتغال بممارسة أدوات الوعي.

وإذا ما أردنا بسط القول في الممارسة فإننا نقول: إن الممارسة تعني عمل العمل بصورة متكررة، ويشترط لهذا التكرار ألا يصل إلى درجة الملال؛ على غرار الروتين، وكذلك لا يكون تكرارا سلبيا، فالتكرار السلبي هو إعادة نمطية دون تحسن، وإنما المراد تكرار معزز بالتقدم والتمكن؛ بحيث يلاحظ التحسن في سرعة الإنجاز أو قلة الأخطاء وكثرة الإصابات، فهو تكرار يقع معه تطور من جهتين: **الإتقان**؛ بحيث يصبح العمل سهلا ميسورا، فاستخدام أدوات الوعي يتم بسهولة، وكأنه عمل لا شعوري، ويتم في تناسق إيجابي بين الأدوات والمكونات؛ **والملكة**، وهي صفة راسخة في النفس بحسب تعريف الجرجاني(١)، والملكة درجة أعلى من الإتقان، ومنهما تتحقق مستويات الملكة الفكرية والوعي الفكري، وثمرة ذلك قدرته على أن:

١- يفهم بسهولة مكونات المجال الفكري.

٢- يحلل الموضوعات الفكرية؛ التي هي: مكونات، علاقات، أسباب.

(١) ينظر: التعريفات، الجرجاني، ص٢٢٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ؛ وتكوين الملكة الفقهية، د. محمد شبير، ص٤٨، كتاب الأمة، عدد (٧٢)، ط١، ١٤٢٠هـ.

٣- يكيف الأفكار الجيدة ويأخذ منها ما يناسب واقعه.

٤- ينقد الأفكار التي هي بحاجة للنقد نقدا متينا.

٥- يبدع ويبتكر أفكارا نافعة مؤثرة... تؤثر وتغير نحو الأحسن.

وهذه الخمسة السابقة ثمار الوعي الفكري من جهة، وهي أداة مهمة ختامية لتعزيز الوعي الفكري وتطويره من جهة أخرى، فهي أداة ونتيجة في عملية مزدوجة، فمن جهة هي تطور وعيه، ومن جهة ثانية هي ثمار وعيه.

نماذج للممارسة الفكرية:

الممارسة الفكرية **ذات مستويات** عدة، وذلك بحسب تمكن صاحبها من أدواته، ويمكن أن نضع **ثلاثة** مستويات: **مبتدئ متدرب، متخصص، متمكن**؛ وتختلف ممارسات كل واحد من هؤلاء الثلاثة، **فالمبتدئ** لا يزال في مرحلة بناء لقدراته الفكرية، وهو الشبر الأول في التعلم، وتقع معه بعض المشكلات، فبسبب حماس أصحاب هذا المستوى للكتابة، وانتشار دور النشر التي تبحث عن أي إنتاج يعزز من نشاطها، وانفجار ثورة الإنترنت، والتي منحتنا مساحات شاسعة فارغة، وأثارت رغبة الشهرة وحيوية الشباب بالنشاط فيها، فوقعت أخطاء في أثناء الممارسة، وهي مفهومة في هذا السياق، وعسى أن يعود الوضع لسياقه الطبيعي؛ بحيث يتم الاعتناء بالبناء قبل العطاء، وينشط المتدرب بأنواع من الأنشطة لا تتخذ صفة التوجيه للغير؛ خشية أن يكون مغبة ذلك الوقوع في وعيد النبي صلى الله عليه وسلم فيضل ويضل الناس بغير علم؛ وذلك بسبب الجهل واستعجال التصدر، وهو أصعب ما يكون في المجال الفكري، فهو ليس مجال بحث وإنما مجال تفكر، ومن ثم فلا بد أن نضع لها من الممارسات ما يناسبها، بحيث تحقق الرقي بالممارس في درجات الملكة الفكرية.

المرحلة الثانية:

وهي مرحلة **المتخصص**، وهي مرتبة وسطى، يمكنه المشاركات الفكرية **المتوسطة**، وهو كذلك في حاجة إلى مواصلة التدرب، ويكون مع التدرب تعميق للمعاني الإيمانية والقيم الأخلاقية، وهي مسائل يجب أن تكون مع الذات من بدايات هذا الطريق، ويجب أن تزداد

عمقا مع الارتقاء في المجال الفكري، ففي مرحلة **التخصص** تتوسع الممارسة، فهناك منتج يقدم فائدة للغير، ومن أعظم المنتجات هنا: تلك التي تسهم في سد الثغرات الواجبة والملحة، وتسهم كذلك في التعليم، ورعاية المتدربين، مع الاستعداد للانتقال للمرحلة الثالثة؛ ألا وهي مرحلة **التمكن**، وهي تتطلب ممارسات تبنى فيه الملكات العالية؛ فهي مرحلة الإبداع والاجتهاد الفكري، وهي مرحلة المشاريع الفكرية التي تتميز بثلاث خصائص أو سمات، وهي أنها: موقظة، ومنيرة، وقائدة، فهي تدخل المجالات المهملة، والتي أصاب أصحابها غفوة، فتوقظهم برفق ولين، وما أن يستيقظ أصحاب الغفوة حتى يجدوا طريقا تمت إنارته، فيعرف المستيقظ أين يسير، وهو في أكثر الأحوال بحاجة للقيادة الفكرية، فكثير من الناس وإن كان الطريق منيرا، إلا أنه يكسل عن السير فيه، حتى يجد الفكر القائد الذي يحفزه للمسير.

وإذا ما وصلنا إلى مسألة الاقتراحات المناسبة للمستويات الثلاثة؛ فالباحث يرى أن المستويين الثاني والثالث على قدر من المستوى يؤهلهم لمعرفة ما يحتاجونه، لذا فمن المناسب ذكر الاقتراحات الملائمة لأصحاب المستوى الأول، وهي مرحلة التدرب والممارسة.

حلقات النقاش:

بحيث تقوم كل مجموعة مهتمة بالوعي الفكري بتكوين حلقة نقاش، إما مباشرة أو عبر تطبيقات التواصل الاجتماعي، وتكون ما بين الثلاثة إلى العشرة، ويتم جدولة موضوعات فكرية، ويتم النقاش حولها.

الكتابة:

وقد أتاحت الشبكة منصات متنوعة للكتابة، من "المنتديات"، والصفحات الخاصة على "تويتر" أو "فيس بوك" أو "المدونات" الشخصية وغيرها، ويجدر بمستخدمي هذه المواقع التعقل في التعامل مع شبكات التواصل الاجتماعي، بحيث تؤخذ بقدرها، وذلك بأن يركز على منصة واحدة لتفعيل طاقته الفكرية وتمرين أدواته وتحسين أدائه.

البحوث العلمية:

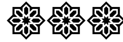
بحيث يتم كتابة بحث محكم كل ستة أشهر، وترسل هذه البحوث إلى المجلات العلمية ذات التحكيم، بحيث يختبر الشاب قدراته على الممارسة الأكاديمية الفكرية، ويحسن به -هنا- أن يكون على صلة بشبكات البحث العلمي الاجتماعية والبحثية(١).

المحكم الخاص:

وذلك عن طريق القيام بإعداد مشاركة فكرية؛ كتابة أو إلقاء؛ بالتنسيق مع متخصص، بحيث يتم مراسلته دوريا بفقرة فكرية؛ على أن يقوم المتخصص بتحكيمها وإبداء الرأي فيها وتقويمها.

اليوميات الفكرية:

بحيث يكون مع المهتم ببناء نفسه فكريا دفتر يوميات، أو ما يقوم مقامه، ويدون فيه حول موضوع فكري ما؛ ولا بد أن يعتني بثلاثة أمور في صياغة الفكرة، وهي: المفهوم، والتعريف، والدليل(٢)، ويمكنه أن يبدأ بمشاهداته اليومية، ويكتب حولها؛ مستعينا بالأدوات السابقة بحسب الحاجة.



(١) ينظر من بين هذه المواقع المهمة: "قوقل سكولر"، "رسيرش جيت"، "سكوبس"، "أكاديميا"، "أورك آي دي"، "ريسيرشير آي دي"، ينظر التعريف بها على الرابط الآتي:
https://www.slideshare.net/DSR_UQU/researcherid-guide.

(٢) ينظر حول هذه الثلاثة: الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، طه عبد الرحمن، ص٨٨، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

الخاتمة

يصل البحث لختامه، وهذه أهم نتائجه، وتتلخص بما يأتي:

- ليس هناك جدل في أهمية الوعي الفكري في زمن هذه العولمة الفائقة، ولكن النقص يتأتى من فقر أدوات الوعي، فهناك من يوسع الحديث عنها، فتضيع ضمن مفاهيم عامة عائمة، وينتج عن ذلك ضبابية في الوعي؛ وفي المقابل هناك من يختزلها في جانب ضيق، فينشأ عن ذلك رؤية قاصرة.
- مجال العناية بأدوات الوعي مجال جديد، فهناك عناية بالحديث عن الوعي الفكري وأهميته ومجالاته، ولكن ليس هناك ما يكفي في بيان أدوات الوعي، ومن ثم فهو مجال اجتهادي ينبغي أن تتوجه له الدراسات.
- أهمية بناء أدوات للوعي تجمع بين الأمن والفعالية، بحيث يأمن مستخدمها على ذاته، فتمكنه من الوعي النافع، وتحميه من الوعي الزائف؛ كما أنه يجد ثمرتها بيسر وسهولة، كونها ذات إجرائية مناسبة، وتتسم بفعالية في الأداء.
- بنيت أدوات الوعي في هذا النموذج وفق خصائص محددة، أهمها: التدرج، بحيث تبدأ بالمفتاح الشرعي الذي يبني البصيرة في الذات ويحقق الطمأنينة لها، وتنطلق من قاعدة صلبة في استعمال بقية الأدوات.
- جاءت الأدوات في ست خطوات متتابعة: المفتاح الشرعي، والموسوعات، والأطالس، والمتخصص، والكتاب، والإعلام والاتصال، والممارسة؛ وهدف هذه الخطوات تمكين الذات من الملكة الفكرية.



التوصيات

يوصي الباحث ببعض المقترحات، وهي:

- بناء تطبيقات إسلامية بلغات عالمية حول مفاهيم الإسلام؛ تكون موجهة للمسلم الذي يريد معرفة الموقف الإسلامي من هذه المفاهيم؛ فتيسر للمسلم المعاصر معرفة ما يجب عليه تجاه هذا المفهوم أو ذاك. ومن المهم أن تنطلق من الجامعات وأقسامها العلمية المتخصصة.
- إطلاق مشاريع بحثية وعلمية لبناء موسوعات وأطالس ثقافية، ورقية وإلكترونية، من وجهة نظرنا الإسلامية، عامة وخاصة.
- إطلاق مشاريع لبناء منصات على الشبكة، متخصصة في جوانب مهمة، تكون مرجعا موثوقا لملايين المسلمين في باب الوعي، بحيث تخدم مرحلة **المتخصص**، وهو الخطوة الثالثة في أدوات الوعي.
- العناية بوضع دراسات حول أدوات الوعي المناسبة لطلاب المدارس، من المرحلة الابتدائية حتى نهاية الثانوية.

وفي الختام، فإني قد بذلت غاية الوسع في دراسة هذا العنوان، والله أسأل أن ينفعني به ومن يقرأه، وأن يكون نافعا في مجاله، والله الموفق.



المصادر والمراجع

١- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٤٠٢هـ.
٢- أصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٦، ١٩٨٢م.
٣- أصول البحث العلمي ومناهجه، وجيه محجوب، دار المنهاج، عمان، الأردن، ط٢، ١٤٢٥هـ.
٤- أطلس الحديث النبوي من الكتب الصحاح الستة، د. شوقي أبو خليل، الفكر، دمشق، ط٤، ١٤٢٦هـ.
٥- أطلس الفرق والمذاهب الإسلامية، د. شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، طبعة ٢٠١٢م.
٦- أطلس الفلسفة، بيتر كونزمان، ترجمة د. جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.
٧- أطلس القرآن: أماكن، أقوام، أعلام، د. شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.
٨- أطلس الكتاب المقدس وتاريخ المسيحية، تيم داولي.
٩- أطلس معلومات العالم العربي: المجتمع والجغرافيا السياسية، رفيق البستاني وفيليب فارج، تقديم: مكسيم رودسون، ترجمة مصطفى فودة، دار المستقبل العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
١٠- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن المباركفورى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
١١- التربية الإعلامية: كيف نتعامل مع الإعلام؟ د. فهم الشميمري، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.
١٢- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

١٣- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، ١٩٨٤م.

١٤- تفسير السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٥- تفسير الطبري؛ محمد ابن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٦- تفسير القرآن العظيم؛ إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: مصطفى السيد محمد وعلي عبد الباقي وآخرين، مؤسسة قرطبة، مصر، ط١، ١٤٢١هـ.

١٧- تفسير القرطبي؛ لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

١٨- تكوين الملكة الفقهية، د. محمد شبير، كتاب الأمة، عدد (٧٢)، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٩- الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٢٠- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢١- السبل المرضية لطلب العلوم الشرعية: دليل شامل لدراسة العلوم الإسلامية، أحمد سالم، مركز تفكر للبحوث والدراسات، ط١، ١٤٣٧هـ.

٢٢- سنن الترمذي؛ لأبي عيسى محمد بن عيسى، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٧هـ.

٢٣- سنن الدارمي، للإمام عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق حسين الداراني، دار المغني، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٤- شرح النووي على مسلم: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٢٥- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، اعتنى به: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٦- صحيح الجامع الصغير وزياداته، لجلال الدين السيوطي عبدالرحمن بن أبي بكر، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٧- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٩- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

٣٠- قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد إسماعيل صيني، الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٣١هـ.

٣١- لسان العرب، محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٣٢- مجموع الفتاوى؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط١، ١٤٢٥هـ.

٣٣- مدارج السالكين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم، الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ.

٣٤- مدخل لدراسة المراجع، د. عبد الستار الحلوجي، دار الثقافة، القاهرة.

٣٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: حمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦ هـ.

٣٦- مصادر المعلومات في مجال الإعلام والاتصال الجماهيري، د. جاسم جرجيس، د. بديع القاسم، مركز الإسكندرية للوسائط الثقافية والمكتبات، الإسكندرية، طبعة ١٩٩٨م.

٣٧- معجم الدعوة والإعلام الإسلامي، د. طه الزيدي، دار النفائس، الأردن، ط١، ١٤٣٠هـ.

٣٨- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هـ.

٣٩- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، الفكر، دمشق، طبعة ١٣٩٩هـ.

٤٠- مفتاح دار السعادة، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٤١- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داودي، دار العلم، دمشق، طبعة ١٤١٢هـ.

٤٢- مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن محمد بن خلدون، تحقيق د.على عبدالواحد وافي، نهضة مصر، القاهرة، دون بيانات أخرى.

٤٣- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.

٤٤- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت، ط١، ١٤١٥هـ.

٤٥- نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، د.راجح عبدالحميد الكردي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن-فيرجينيا- أمريكا، المؤيد-الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

٤٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق محمود الطناحي، المكتبة الإسلامية، دون بيانات أخرى.

